وجهة نظر

# المماحكة اللفظية واستشراء النزعة الانهزامية اليسارية

حيث يحق للجماهير انتزاع وخلع ممثليها مباشرة ، ولا يضاهيها ويتفوق عليها الا المضمون الاشتراكي الديمقراطي لديكتاتورية البروليتاريا ·

ان الكاتب ، في النهاية ، بعد عملية تنصله من المهام السياسية للمرحلة بحجج مختلفة ، يرى في بداية مقاله « ان تطورات الاحداث الراهنة تؤكد مدى طوباوية وجهة نظر الكاتب » ، كما يرى في نهاية مقاله ، ايضا ، اننا لم نفعل بما قدمناه سوى « زيادة الاوهام التي تعاني منها الحركة الوطنية والجماهير » ·

فالكاتب ينفي عمليا ، رغم ولعه بتحديد الشروط النظرية للوضع الثوري الذي نشأ في لبنان ، امكان احداث اي تأثير ما دامت هذه هي طبيعة القوى السياسية المهيمنة وما دامت القوى الثورية الاخرى، ضعيفة وعمرها قصير وكوادرها غير مجربة ! انه ينفي امكان عمل اي شيء مؤثر وحاسم ، أليس هذا ما حدث في النهاية ، ألم تبرهن « تطورات الاحداث الراهنة » مدى مثالية وجهة نظرنا ؟! ولكن الم تبرهن ، ايضا ، على الافلاس والعجز النظري والسياسي لكثير من القوى وادعياء اليسار ، الم تبرهن على عدم وجود نضال ثوري جدي للتأثير في هذ ه المرحلة بالذات سواء ابان الوضع الثوري ( او انفضاضه اليوم ) والتفكير « بالمرحلة القادمة » فقط ؟!

يقول لينين : « ان الماركسي الذي تنسيه امكانية هذه المرحلة المقبلة واجبه الان ·· انما يكون برجوازيا صغيرا » · ( رسائل في التاكتيك )

ان جنين المرحلة القادمة لن يولد الا من رحم المرحلة الراهنة ، ان النشاط الثوري الايديولوجي والسياسي والدعاوي والتنظيمي ، انطلاقا من رؤية عملية استراتيجية تتصدى لهذه المهام المحددة من تطورات ومنعرجات المرحلة السياسية ولكافة معضلات ومهام الثورة بشكل عام ، هو وحده الذي سيحدد ولادة الحزب الثوري من رحم وتجارب المرحلة الراهنة ·

ان النزعة الانسحابية ، والتنصل وغسل اليدين ، لا تنمي سوى التبجح والنظرة التأملية · وهي مريحة لضمير البرجوازيين الصغار · الم يثبت «الواقع» صحة توقعاتهم ؟! الواقع الذي يفهمونه ، دائما ، بصورة وصفية فوتوغرافية ، وليس بصورة نشاط وصراع طبقي على مختلف الصعد ·

## ■■ اساس استفحال النزعة الانهزامية اليسارية :

سابقا ،كان التشوش الفكري وغياب تمثل الماركسية كمنهج عملي لتحليل الواقع المحدد يؤدي الى خلل خطير في التصورات والافكار فيتم استبدال التحليل العلمي الدقيق بألفاظ وكليشهات عامة « ماركسية » وباحكام اخلاقية « ثورية » يسارية · وهذا التشوش وعدم تمثل الماركسية كان يتم على ارض سياسية وتاريخية محددة ، بداية تحول وانفضاض عدد من التنظيمات البرجوازية الصغيرة القومية عن البرجوازيات العربية في اثر خيانتها للقضية الوطنية ، وسعيها الى محاولة تبني الفكر الاشتراكي بصورة انتقائية مشوشة ·سيما ان الاحزاب الشيوعية العربية التحريفية لم تساهم ، بالطبع، في تثبيت تقاليد فكرية منهجية ونضالية شيوعية ، مما زاد في تخبط العديد من العناصر والتيارات الديمقراطية الثورية ، وعدم قدرتها ، بالتالي على حفر مجرى نضالي مؤثر في حركة الواقع ·

وكانت هذ ه العناصر والتيارات والقوى تتحجج « بهيمنة » القوى السياسية الاخرى على العمل السياسي ، لتبرير عجزها الفكري والسياسي عن حفر مجراها الخاص ·

وفي اثر الضربات الموجعة التي تم توجيهها ، على يد التحالف الفاشي الامبريالي الرجعي العربي ، الى المقاومة والحركة الوطنية وسحب الارض الثورية الصلبة من تحتهما من خلال الضربات العسكرية والابتزاز السياسي مما ادى الى تصفية الوضع الثوري ، من الزاوية الاساسية ، واحداث انفضاض جماهيري من حولهما ، في اثر ذلك اخذت تستشري النزعة الانهزامية اليسارية بوتيرة اسرع وبأشكال مختلفة · الم يثبت « الواقع » صحة توقعاتهم «العلمية» العظيمة بأن القوى الوطنية الموجودة هي قوى غير شيوعية وتفتقد الى وجود حزب شيوعي حقيقي ، وانه من المستحيل القيام بأي شيء ما دامت هذه القوى نفسها مهيمنة على العمل السياسي ؟ أليس في هذا المنطق ، ضمنيا ، ترحيبا أبلها لضرب الحلف المعادي للقوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية ؟ لمساعدة امثال اولئك « اليساريين » على ازاحة « هيمنة » القوى الوطنية الاخرى ليخلو لهم وحدهم جو العمل الثوري « الجدي » الذي لم يفعلوا شيئا من اجله !!

فالبنسبة للشعار الذي طرحناه « اقامة سلطة وطنية ديمقراطية » من حلال الاطاحة الثورية بالشرعية الزائفة للنظام الكومبرادوري العميل ، فانه قد اخذ ينتقل ، سيما بعد دخول قوات الردع العربية ( السورية اساسا ) من حيز الشعار الاجرائي الفوري الى حيز الشعار التحريضي · ولكن لا يمكن لاي شعار او موقف تكتيكي اخر الا ان يخدمه · لا يمكن ان تقوم الدعاية والتنظيم الثوري الا على اساسه · ان الشعار التحريضي لا يعني مجرد الدعاية والاعلام ، بل تثوير وتنظيم الجماهير على اساسه ·

ان الارض الصلبة التي تميد ، يوما بعد يوم ، تحت ارجل الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية هي نتيجة لمجمل السياسات المترددة والاصلاحية التي انتهجتها القوى المذكورة ، والتي لم يتم مناهضتها بسياسة ثورية جماهيرية حاسمة من قبل القوى والكتل الثورية الاخرى ، مما ادى وما زال يؤدي الى انتكاسة خطيرة كنا نحذر وندعو لاجل تلافيها ·

والان ما هي مظاهر واسباب استشراء النزعة الانهزامية اليسارية ، والتي سيتفاقم استفحالها اكثر فأكثر في المرحلة القادمة في ظل ظروف التراجع · والنقاش لدحض هذه النزعة بكافة مظاهرها واشكالها الراهنة المقبلة ذو قيمة مزدوجة : منهجية وكفاحية ·

## ■■ مظاهر واسباب استشراء النزعة الانهزامية اليسارية

اول مظهر لهذه النزعة هو : الاعتقاد باستحالة تحقيق اي تأثير سياسي جدي في ظل وجود وهيمنة مثل هذه التنظيمات البرجوازية الصغيرة ، او في ظل سيطرة عقليتها السياسية السائدة على الاقل ، وان اي تغيير سريع وحاسم في سياسة هذ ه الاحزاب يتطلب وقتا وجهدا لا تسمح بهما ظروف المعركة الدائرة ، وعليه فان التصور بامكان انجاز اي تأثير جدي هو تصور مثالي وتعبير عن نزعة ارادية ذاتية · وهذا المظهر اقرب الى تفكير امثال الكاتب سميح ابراهيم ·

نرد على هذه النقطة : بأنه ليس هناك حاجة لتكرار ان الشعارات ومجمل المهام الذي يدعو اليه خط سياسي ثوري ليست مفصلة على مقاس الاحزاب والتنظيمات اللبنانية والفلسطينية ، اذ لا حاجة لطرحها ما دامت هذه الاحزاب ستقوم بها من تلقاء نفسها بحيث لا ينقص سوى القيام « بارشاد » «ووعظ » هذه الاحزاب والتنظيمات « الجاهلة » لكي تتبنى المواقف والشعارات الثورية والتي لها مصلحة موضوعية ، بالفعل ،من وراء تبنيها ·

## ■■ ما نطرحه هو المهام النضالية للمرحلة السياسية الراهنة

ان ما نطرحه يستجيب لمهام المرحلة السياسية الراهنة ، وهو عمل نضالي ايديولوجي وسياسي وجماهيري وعسكري شاق ودؤوب لا بد من حفر مجراه بقوة انطلاقا من الواقع السياسي الراهن وليس المرحلة المقبلة ·

ان التأثير المطلوب احداثه في هذه التنظيمات والاحزاب لا ينبغي ان يتم بشكل عام وفضفاض ، بل ينبغي ان يتم بشكل نوعي ومحدد · انة تأثير في الكتل والتيارات والعناصر الوطنية الديمقراطية الاكثر جذرية وتطورا في صفوف هذه التنظيمات ، حيث ينبغي العمل الدؤوب لاكتشاف هذه الكتل والتيارات والعناصر والتأثير بها من خلال ارقى الاشكال ودفعها الى ممارسة دور سياسي فعال ومنتظم على مختلف الصعد السياسية والايديولوجية والجماهيرية ، وانطلاقا من تبني رؤية استراتيجية علمية والشعارات والمواقف الثورية ·

وهنا تلعب الدعاية الثورية ، بمختلف اشكالها ، والانخراط في مختلف مواقع العمل السياسي والجماهيري والعسكري دورا حاسما في عملية التأثير بالكتل والتيارات والعناصر الوطنية الديمقراطية الثورية ·

اما اتخاذ مواقف التأمل والانتظار ، فأنها لا تعود الى ممارسة اي تأثير، وهي تناقض جوهر الفهم الماركسي الكفاحي والخط السياسي الثوري ، فالماركسية علم وكفاح · « فعلمية » الخط ليست فقط مسألة ذهنية مجردة ، بل مسألة ترتبط جدليا بقيمته الكفاحية التغييرية ·

ثم ينبغي عدم الاكتفاء بالتأثير في الكتل والتيارات والعناصر الثورية المذكورة انفا ودفعها الى العمل المؤثر ، بل ينبغي شق طريق التأثير السياسي، والجماهيري المستقل · فالنضال الحاسم هو بين صفوف الجماهير · كما ان الظروف الثورية الاستثنائية كانت وما زالت ، الى حد ما ، تتيح مجالا اوسع بما لا يقاس ، للاستجابة لاي تأثير ثوري ·

ان اي تأثير سيتم احداثه ،هو في مواجهة منطق وعقلية الاحزاب والتنظيمات وما تفرزه من استعدادات عملية · هذا مع ضرورة الحذر الشديد من اتخاذ المواقف « الثورية » المراهقة من خلال اتهام هذه التنظيمات بالعمالة او الخيانة · اذ ان هناك فرق نوعي بين ان يقود سيادة خط اصلاحي انتهازي

ما الى الهزيمة ، في النهاية ، وبين ان يكون هو « متآمر » منذ البداية · ذلك لان سيادة هذاالخط او ذاك وامكانية تهديده لمسيرة النضال بالكارثة ، مسألة يتحمل وزر منعها كل القوى والتيارات والعناصر الشيوعية والديمقراطية من خلال العمل الثوري لحفر مجرى اخر ، من اجل سيادة خط ثوري اخر ·

ان الجنين الثوري للمرحلة القادمة لا يمكن ان يولد الا من خلال ممارسة اقوى تأثير ثوري في رحم المرحلة الراهنة سيما ان امكانيات الانتصار او الهزيمة انما تعتمد على مدى ممارسة نشاط ثوري في الاتجاه السليم او عدمه ·

اما المظهر الاخر لاستشراء النزعة الانهزامية اليسارية فهو اقل خطرا من المظهر الاول الذي يرى استحالة ممارسة اي تأثير ، فأنه يعبر عن نفسه بضعف المبادرة والثقة بالنفس ، في ظل ظروف التراجع ، واستفحال النزعة الشكية والتردد ، والسقوط في نوع من الحيرة والنظرة التأملية غير الكفاحية · فاصحاب هذا المظهر يعتقدون من جانب بصحة الخط السياسي العام والمواقف الثورية ولكن ، من جانب اخر ، يقولون ان هناك استحالة في تطبيقها والاخذ بها ، او في افضل الاحوال ، الاعتقاد ضمنيا ان « الخط » صحيح وثوري بالفعل ، ولكن هناك حائلا زمنيا وسياسيا امام تطبيقه والعمل به · فلا بد اذن (مع المعرفة التامة بأن الزمن المطلوب هو زمن سياسي اساسا ) ، من فترة زمنية معقولة لكي يتاح لنا فيهاالقيام بالتأثير المطلوب ، سيما ان مسار الاحداث يتسارع في اتجاه الحسم النهائي ، فماذا باستطاعتنا ان نفعل والحالة هذه اذا شئنا ان نكون واقعيين ؟ كل ما يمكننا ان نفعله هو التأثير المحدود ببعض العناصر والكتل والتيارات السياسية والقيام ببعض الاعمال الجماهيرية المحدودة · ولكن مهما فعلنا فلن يكون هناك تأثير قوي وحاسم · إذا ، نحن ندرك ان ما نقوم به، الان ، من تأثير محدود هو واجب ثوريضروري ولكن قيمته الاساسية تاريخية اي الاعداد للمرحلة القادمة ·

هذا هو لسان حال المظهر الاخر من النزعة الانهزامية الاحباطية ، وهو اقل خطرا دون شك من المظهر الاول الشديد الخطورة ·

وردنا البسيط الموجز على المظهر الاخير ، انه المطلوب ممارسة هذا التأثير المحدود بالذات ولكن بدأب وانتظام ومن خلال اساليب عمل غير حرفية ، باساليب عمل ثورية دعاوية وجماهيرية راقية تصل الى ابعد نطاق ممكن في تأثيرها ، فالدور التاريخي لن يكون تاريخيا الا من خلال تأثيره السياسي العميق في المرحلة الراهنة ·

ان المطلوب هو دائما ، ليس انجاز شعارا او موقفا تكتيكيا محددا ، المطلوب هو حفر خط ثوري دؤوب يمارس تأثيره على كل المنعرجات واللحظات السياسية، المطلوب هو مهام مرحلة كاملة لا يمكن انجازها الا بالتصدي الحازم لها سواء ابان النهوض الثوري او التراجع ، وتقصير عمر اية نكسة قد يتعرض لها النضال الوطني والديمقراطية لا يكون الا من خلال سياسة ثورية منسجمة الى النهاية ·

ان مظاهر النزعة الانهزامية اليسارية ستعبر عن نفسها باشكال وطرق مختلفة في المرحلة الراهنة والقادمة ، فينبغي رفع اعلى درجات اليقظةالثورية والتحلي بالروح البروليتاري الطويل النفس وبالعزيمة الفولاذية التي تليق بالماركسيين والثوريين ، والتصدي الايديولوجي والسياسي الحازم لشتى النزعات الانهزامية اليسارية واليمينية ·

لقد كتب لينين عام ١٩١٧ ( رسائل في التاكتيك ) « ان تجربة الحرب ، مثلها مثل تجربة كل ازمة فيالتاريخ، وكل كارثة كبرى وكل انقلاب في حياة الانسان ، تجعل البعض بلداء وتحطمهم ، وتعلم ، بالعكس ، البعض الاخر وتشد مراسهم » ·

طلال شاهين